طقوس الزيارة والوعدة لرأس الحمراء بعنابة –الجزائر- وفرص الاستثمار السياحي

The rites of the visit and the promise of Ras Al-Hamra in Annaba - Algeria - and the opportunities for tourism investment

إعداد

د/ نادية مليانى — جامعة باجي مختارعنابة

أفراح مليانى — جامعة الشاذلي بن جديد الطارف

Doi:10.21608/kjao.2021.156239

استلام البحث : ٢٠ / ٢ /٢٠٢١ قبول النشر: ٢ / ٣ / ٢٠٢١

المستخلص:

تنتشر ظاهرة الأولياء الصالحين والأضرحة جغرافيا وتاريخيا لتعبر عن قداستها ووظيفتها الاجتماعية، ومنه فزيارة الأضرحة تندرج ضمن عادات إحياء الموروث الثقافي الخاص بالضريح ونسبه وبركته وكرامته وشرفه وأثره بعد وفاته، وهذا ما يحدد نوع الطقوس والممارسات الاعتقادية التي يقوم بها الأفراد ويرتبطون بها روحيا، من أجل تتمة هذه الممارسات هناك ما يسمى بالأصول "بمعنى الطقوس" كإشعال الشموع ووضع الحناء والعطور وذبح الهدية والبكاء والنحيب عند القبر وغيرها، فالزائر "الزاير بلغة أهل المنطقة" يعتبر المكان طاهرا ويسمي حاجته لاعتقاده بتلبية دعواته عن طريق هذا الرجل الصالح الذي كان زاهدا وعالما ومتصلا روحيا بالخالق، وعند مغادرة المكان ينتظر الممارس "ٱلْجَوَابْ" أي الاستجابة لما طلبه، وعند عودته مستقبلا عليه أن يخلص الوعدة أو ما يسمى بـ: "الخْلاَصْ" وهو ما وعد بأدائه مقابل تلبية حاجته، وهذه الممارسات لا تقتصر على أهل المنطقة فحسب بل هذه الثقافة تعتبر من التراث اللامادي وفرصة للاستثمار السياحي من خلال الممارسة الطقوسية للسائح، التسويق للثقافة فترة السياحة، وكذا التسويق للمنتجات المرتبطة بالطقوس، بناء على ما تقدم سنحاول من خلال هذا المقال الإجابة على التساؤل المركزي الآتي: ما هي فرص الاستثمار السياحي في طقوس الزيارة والوعدة لضريح سيدي نور برأس الحمراء بعنابة –الجزائر؟

ويندرج ضمنه تساؤلين فرعيين هما:

-ما هي الدلالات السوسيو-ثقافية لطقوس الزيارة والوعدة برأس الحمراء بعنابة -الجزائر؟

-ما هي الوظائف البديلة "الاستثمار السياحي" في طقوس الزيارة والوعدة؟

Doi:10.21608/kjao.2021.156239

يندرج المقال ضمن الدراسات الوصفية، وتم الاعتماد على المنهج الوصفي والأسلوب الكيفي من أجل عرض محتوى الدلالات السوسيو-ثقافية للممارسة الطقوسية، وتحليل فرص الاستثمار السياحي، وبعد المراجعة البيبليوغرافية تتجلى لنا أهمية الموضوع من حيث أن الزيارة تراث لامادي والممارسة السلوكية حماية لهذا التراث من الاندثار، وفرص الاستثمار السياحي في هذا التنوع الثقافي كبيرة، وعليه فهدف المقال توضيح الدلالات المرتبطة بالطقوس من جهة وتبيان علاقتها بالسياحة من جهة أخرى.
الكلمات المفتاحية: طقوس، الزيارة، الوعدة، الاستثمار السياحي.

Abstract:

The phenomenon of righteous saints and shrines is spread geographically and historically to express its holiness and social function, the visit falls within the habits of reviving the cultural heritage of the shrine, its proportions, blessing, honor, and its impact after his death. Some practitioners of distress and anxiety or a state of psychological and spiritual wandering say: "I must visit because I have not gone and did not do my duty for long time". And there are those who revive this tradition through an annual meeting held to honor the honors of the righteous guardian, in which their disciples, their grandchildren and their loved ones meet In order to participate in reading the Quran, supplications, praises, feeding the food and the family kinship. Also on the sidelines of these meetings, popular markets and celebrations are held on this occasion. There are many social perceptions related to these rituals such as the sanctity of the place and not uttering vulgar words or speaking with a low voice because they are in the presence of the angels' world as they thought. For the sake of completing these practices, there are some essentials such as lighting candles, blessing the shrine and roaming around it, setting henna and perfumes, slaughtering the gift, crying and wailing at the grave and other rituals of the visit. When leaving the place, the practitioner awaits the "answer", that is, responding to his request such as healing, eliminating a need, or success in the study, and when the visitor returns in the future, he must conclude the promise or the so-called salvation if he promises to pay in return for money, slaughter a

chicken, arrange the location of the visit and restore Parts of the shrine building and more. Through this intervention, we will try to determine the aspects of investment in this culture and the areas of competition that this heritage shows, after we answer the following central question:

What are the socio-cultural connotations of the ritual of the visit and the promise in Annaba –Algiers- society?

Key words: ritual, the visit, the promise, social perceptions.

أولا المقدمة:

يتكون كل مجتمع إنساني من أفراد وجماعات لديهم لغة مشتركة للتفاهم والتواصل، وعادات وتقاليد وأعراف ويدخلون في علاقات اجتماعية وهم في الغالب العام قد اتفقوا على تقنين عمليات تفاعلاتهم السياسية والاقتصادية، أما المعتقدات والقيم والرموز والتراث الشعبي فهي أساسية لتحديد الهويات المشتركة والانتماءات الوطنية أو القومية، لأن هذه الأمور غير الحسية من عادات وتقاليد ومعتقدات وغيرها هي أهم المكونات اللامادية للثقافة التي تمايز بين المجتمعات الإنسانية، وفي تراكمها دعوة صريحة للأجيال من أجل نقلها والالتزام بها، وعليه تحافظ على تماسك الجماعة ويخلق عند أعضائها الشعور بالانتماء والوحدة والتجانس وتطبيق الاطار الثقافي والمصير المشترك المخزن في الشعور والعقل الباطني للفرد، وفي هذا الإطار تعدى الحفاظ على الموروث الثقافي الجانب المادي إلى الجانب اللامادي كلغة وسلوكيات وطرق تفكير صانعيها وممارسات طقوسية ملزمة لكل من يرغب في الحفاظ عليها.

الأضرحة والأولياء الصالحين ظاهرة منتشرة لتعبر عن قداستها الاجتماعية وتؤدي وظيفة التضامن وليكون لهذا كله دلالة ومعنى فهناك الزيارة والوعدة المكونان الرئيسيان في الممارسة الطقوسية كسلوك اجتماعي والضريح كمحور رمزي دال على القدسية وتمثل الثنائية الزيارة والوعدة واقع مثالي محافظ على المعتقدات الشعبية والممارسات الطقوسية واستمرارها، لأن في هذه السلوكيات احياء لمشاعر التكافل الاجتماعي ومكانة الضريح الاجتماعية خاصة اذا كان شيخ زاوية أو من المتصوفة او مؤسس بيان وطريقة دينية أو إنجازات أخرى فيربط المجتمع بين المكانة ورغبتهم في تحقيق حاجاتهم تدفعهم إلى الايمان ببركة الضريح والمكان وطقوس الاحتفال بهم المتمثلة في الزيارة والوعدة.

تندرج الزيارة ضمن عادات إحياء الموروث الثقافي الخاص بالضريح، وهذا ما يحدد نوع الطقوس والممارسات الاعتقادية، فكثير من الممارسين وعند إحساسهم بالضيق والقلق أو حالة من التيه النفسي والروحي يقولون "لابد أن أزور لدي مدة لم أذهب ولم أؤدي واجبي"، وهناك من يحيي هذا التقليد عن طريق لقاء سنوي يُقام تخليداً لمناقب الولي

الصالح، يجتمع فيه مريدوهم وأحفادهم ومحبوهم، من أجل المشاركة في قراءة القرآن والأدعية والمدائح وإطعام الطعام وصلة الأرحام، وتقام بالموازاة مع هذه اللقاءات تقام أسواق واحتفالات شعبيّة وغيرها، من أجل تتمة هذه الممارسات هناك ما يسمى بالأصول كإشعال الشموع والتبرك بالضريح والطواف حوله ووضع الحناء والعطور وذبح الهدية والبكاء والنحيب عند القبر وغيرها من طقوس الزيارة، فالزائر "الزاير بلغة أهل المنطقة" يعتبر المكان طاهرا ويسمي حاجته لاعتقاده بتلبية دعواته عن طريق هذا الرجل الصالح الذي كان زاهدا وعالما ومتصلا روحيا بالخالق، وعند مغادرة المكان ينتظر الممارس "ٱلْجَوَابْ" أي الاستجابة لما طلبه كالشفاء من علة أو قضاء حاجة، أو نجاح في الدراسة وعند عودة الزاير مستقبلا عليه أن يخلص الوعدة أو ما يسمى بـ: "الخْلاَصْ" إذا ما وعد بأداء مقابل مالي أو ذبح دجاجة أو ترتيب مكان الزيارة وترميم أجزاء من مبنى الضريح وغيره، وهذه الممارسات لا تقتصر على أهل المنطقة فحسب بل هذه الثقافة تعتبر من التراث اللامادي في الاستثمار السياحي، ويقصد العديد من السواح هذه الأضرحة ويمارسون طقوس الزيارة والوعدة من أجل تلبية حاجاتهم من جهة كما أنهم يكتشفون ثقافات مجتمعات أخرى ويعجبون بالتنوع الثقافي، وهذا في حد ذاته استثمار سياحي ناهيك عن الترويج للمنتوجات المحلية في الأسواق التي تقام بالموازاة مع فترة أو موسم الزيارة.

ثانيا مدخل عام للتراث الثقافي اللامادي:

اتسع نطاق مفهوم التراث الثقافي بشكل كبير خلال القرن العشرين، وكان للمنظمات العالمية مثل اليونسكو الدور الفاعل للحفاظ على الموروث العالمي من الانقراض وهذا حتى تتعرف البشرية على مر العصور على تاريخ عيش أجدادها وطرق التأقلم وتطويع الطبيعة دون إلحاق الضرر بها، خاصة مع تصاعد موجة العولمة والفردانية والآثار الاجتماعية السلبية للثورة الصناعية، وتعرف اليونسكو من نص اتفاقية حماية التراث الثقافي غير المادي بأنه "الممارسات والتصورات وأشكال التعبير والمعارف والمهارات وما يرتبط بها من آلات وقطع ومصنوعات وأماكن ثقافية -التي تعتبرها الجماعات والمجموعات، وأحيانا الأفراد، جزءا من تراثهم الثقافي. وهذا التراث الثقافي غير المادي المتوارث جيلا عن جيل، تبدعه الجماعات والمجموعات من جديد بصورة مستمرة بما يتفق مع بيئتها وتفاعلاتها مع الطبيعة وتاريخها، وهو ينمي لديها الإحساس بهويتها والشعور باستمراريتها، ويعزز من ثم احترام التنوع الثقافي والقدرة الإبداعية البشرية، فالتراث غير المادي يتجلى في المجالات التالية: التقاليد وأشكال التعبير الشفهي بما في ذلك اللغة كواسطة للتعبير عن التراث غير المادي، فنون وتقاليد أداء العروض، الممارسات الاجتماعية والطقوس والاحتفالات، المعارف والممارسات المتعلقة بالطبيعة والكون، المهارات المرتبطة بالفنون الحرفية التقليدية" (اللجنة الوطنية الجزائرية للتربية والعلم والثقافة، بلا تاريخ) هذا التراث نشرحه فيما يلي:

-اللغة وأشكال التعبير الشفاهية، يجمع أشكال متنوعة من التعابير كالأمثال الشعبية والألغاز والأساطير، الأناشيد، الأشعار، التراتيل والأدعية، النصوص المسرحية القيم الثقافية والاجتماعية والحفاظ على الذاكرة الجماعية فهي تلعب دورا أساسي في الحفاظ على حيوية الثقافة.

-فنون وتقاليد أداء العروض، هي معيار عملية تختص بها مناطق دون غيرها وتضم الموسيقى بشقيها من عزف وغناء كما تضم الرقص والتمثيل المسرحي، المحاكاة، الشعر الملحون وغيرها من أشكال التعابير الأخرى التي تعكس الإبداع الإنساني، تصاحبها الموسيقى التي تعد شكلا آخر من الفنون الاستعراضية عندما يمتزج بالرقص، حيث يصبح من خلاله الجسم بأكمله أداة للتعبير عن الفرح أو الحزن أو الشجاعة وغيرها من المشاعر الإنسانية والتعابير الاجتماعية الفنية، يستخدم الانسان في عملية التعبير هذه آلات موسيقية اكسيسورات، ملابس وأقنعة، ألوان صناعية أو طبيعية للزينة والتزيين، حلي وغيرها، فتكون مشهدا لا ماديا يحكي أسطورة أو تقليدا أو حياة أمة بأكملها.

-طرق الاحتفال بالزواج والختان، وطقوس دفن الموتى، وزيارة الأضرحة، والوعدة والزردة وكل الممارسات الاجتماعية التي تعتري الحياة اليومية، التي تنطوي وتؤكد على هوية من يمارسها ترتبط هذه الممارسات بأحداث هامة في حياة الجماعات لتروي قصصا عن الولاء للشيخ وللأم أو للولي الصالح، فهي تساهم في وضع معالم التراث وتحكي تحول المجتمع والتغير الثقافي عبر الزمن والانتقال من حياة إلى أخرى، هذه الممارسات ترمز للتصورات والمعاني التي يحملها ويدركها المجتمع عن تاريخها، وهي ممارسات أيضا لها ضوابطها الزمنية والمكانية تجري في أوقات معينة و في أماكن محددة ذات بعد رمزي و ذات علاقة بالنظرة إلى الحياة وللتاريخ وحتى القائمون عليها لا يمكنهم أن يغيروا فيها لأنها متأصلة ومحفوظة في الذاكرة الاجتماعية فهي تتحول إلى مرجعية مجتمعية وحياتية، ويضم هذا المجال الأعياد التقليدية والدينية والزيارات والاحتفالات المتعلقة بالزفاف والطقوس الجنائزية والطقوس المتعلقة بالانتقال من الطفولة إلى سن الرشد وغيرها من المناسبات الاحتفالية التي تقوي الروابط الاجتماعية بين أفراد المجموعات وتشعر الفرد بانتمائه لمجموعة متميزة وتقوي الشعور بالاستمرارية بين الماضي والحاضر، بالإضافة إلى وظائف اقتصادية واجتماعية وثقافية أخرى من تكافل وتضامن اجتماعيين وكسوة اليتيم والمحروم وإطعام السائل والمحتاج وتوزيع العائد المادي على فئة المحرومين.

-المعارف والمكتسبات المتعلقة بالفلك وحركة الأجرام السماوية، وتكييف الطبيعة وتطويعها لخدمة الإنسان، إن الممارسات والتصورات التي أنتجتها المجموعة البشرية في علاقتها مع البيئة الطبيعية، بعد المراحل الثلاث لتطور التفكير الاجتماعي اللاهوتي، الميتافيزيقي، والوضعي يقودنا إلى التعرف على أنماط البشرية في تصورهم للكون ودلالاته، والتي تزودنا بأخبار عن مزج المجتمع للجوانب المادية مع الجوانب الروحية وعلاقة حياة الأرض بالحياة

السماوية، إيمان الأفراد بأخبار الطالع وما تحدثه عنه النجوم، يقينهم بالحياة والموت والخير والشر حسن طالعهم وأنها أمور يمكن أن يتحكم بها الوسيط الروحاني، هذه المعارف والتصورات والممارسات لها تأثير كبير على القيم والدين والأخلاق والابداع والانتاج وعليها تبنى الكثير من الممارسات الاجتماعية والتقاليد الثقافية للعالم المادي الذي تعيش فيه المجموعة البشرية.

يضم هذا المجال العديد من العناصر كالمعارف البيئية والمعارف المتعلقة بالحيوانات والنباتات وتلك المتعلقة بالطب التقليدي، كما يتضمن الطقوس والمعتقدات والتقاليد المتعلقة بالانتقال من مرحلة إلى أخرى وكل ما يتعلق بالتصورات الخاصة بالكون أي ما يتعلق بنشأته وتسييره والقوى التي تتحكم فيه، والمعتقدات والممارسات ذات صلة بالجانب النفسي كطقوس التخلص من الجن وكل التصورات القائمة على معارف أو أساطير تربط العلاقة بين الطبيعة والإنسان وتفسر ظواهر إنسانية أو طبيعية، فقد تطور الوعي الإنساني وسعى إلى الحفاظ على الموارد الطبيعية والتصورات المرتبطة بها.

-الحرف التقليدية والمهارات والمعارف المرتبطة بطرق معالجة المعادن وصقلها واستغلالها في الحرف اليدوية كصناعة النحاس وتقطير الورد وصباغة الجلود وحياكة الصوف والزربية ودلالات رسوماتها وألوانها المستوحاة من توزيعها الجغرافي، الحذاء الجلدي والبرنوس والشاشية وصناعة الفخار، فلا بد من تشجيع الحرفيين على مواصلة نشاطهم وتبليغ معارفهم ومهاراتهم بصفة خاصة ضمن المجموعة البشرية التي ينتمون إليها حتى لا تندثر، تتنوع المنتجات الحرفية التقليدية ذات القيمة التراثية والثقافية وهي تستعمل في الطقوس والاحتفالات والتقاليد والممارسات الاجتماعية والاقتصادية التقليدية الأصيلة من ألات موسيقية وأواني وأدوات للزينة وحلي وألعاب وغيرها، إن في تنوعها سبيلا لمواجهة زحف العولمة الذي يفرض الإنتاج بكميات كبيرة وبأسعار منخفضة كبديل للمنتجات الحرفية.

فالتراث غير المادي هو تراث حي غير ملموس يشتمل على كل الممارسات الاجتماعية إن للريف أو للحضر، وهذا من شأنه أن يجدد الهوية ويضمن الاستمرارية، هذا التراث تتدخل العديد من الأطراف في حمايته وصونه من الانقراض والاندثار في مستويات الحماية، التعزيز، الابراز، والنقل.

ثالثا التراث اللامادي وحمايته في الجزائر:

إن التراث الثقافي اللامادي في حاجة إلى حماية دولية ومحلية لهذا هناك عدة مسارات "على المستويين العربي خاصة والعالمي عامة، من أجل استغلال مختلف الثروات التي لها علاقة بحياة الانسان في بيئته الاجتماعية والثقافية، إذ يعد الحفاظ على التراث غير المادي وإبراز قيمته الذي أصبح أكثر من مجرد مؤسسة ثقافية بل يعد عاملا جد مهم في التنمية المستدامة فأنواع الفنون والممارسات الاجتماعية والطقوس والاحتفالات والمهارات

المرتبطة بالفنون الحرفية والتقليدية وغيرها أصبحت تستغل في عدة نشاطات ثقافية وسياحية تعود بالفائدة الاقتصادية على الفرد والمجتمع وتسهم في نشر الوعي الثقافي وتبرز القيمة التاريخية والفكرية لعدة مجتمعات وتعمل على ربط كل أشكال التواصل الحضاري" (خبزاوي، ٢٠١٧)، وقد صادقت الجزائر على:

-اتفاقية اليونسكو لحفظ التراث الثقافي غير المادي في ١٥ مارس ٢٠٠٤ ومن عناصر التراث الجزائري المسجلة في قائمة التراث الثقافي البشري غير المادي:

- أهل الليل لقورايا، نوع من الشعر الغنائي رمزي لزنات قورايا (جنوب- غرب)، تؤدى أثناء الاحتفالات الجماعية ، سجلت عام ٢٠٠٨.
- بدلة العروس التلمسانية والطقوس والخبرات الحرفية المرتبطة سجلت في ٢٠١٢.
- **الحج السنوية إلى ضريح سيدي عبد القادر بن محمد "سيدي الشيخ":** سجل في قائمة التراث الثقافي غير المادي للبشرية سنة٢٠١٣.

-مركز الفئة الثانية لحفظ التراث الثقافي غير المادي في إفريقيا تم إنشاء مشروع اتفاق بين اليونسكو والجزائر بخصوص إنشاء مركز إقليمي لحفظ التراث الثقافي غير المادي في إفريقيا، بناء على طلب من الجزائر موجه لليونسكو، تمت المصادقة عليه من طرف الجهات المعنية باليونسكو في الدورة ١٩٢ للمجلس التنفيذي لليونسكو. يهدف المركز إلى المشاركة في تحقيق الأهداف الإستراتيجية لاتفاقية اليونسكو، والحصول على النتائج المرجوة بالنسبة للمحاور التي لها الأفضلية في مجال حفظ التراث الثقافي غير المادي في المنطقة.

-اتفاقية إنشاء مركز إقليمي بالجزائر لحفظ التراث الثقافي الغير مادي في إفريقيا**:** في ٢٨ فبراير ٢٠١٤، وقعت المديرة العامة لليونسكو ووزيرة الثقافة الجزائرية اتفاقية لإنشاء مركز إقليمي بالجزائر لحفظ التراث الثقافي الغير مادي في إفريقيا تحت رعاية اليونسكو، الذي سيلعب دورا جوهريا في تعزيز قدرات حفظ التراث في المنطقة. (وزارة الثقافة الجزائر، بلا تاريخ).

رابعا الدلالات الاجتماعية للطقوس والممارسات بمكان الضريح في المجتمع العنابي:

"لقد شكلت زيارة الأضرحة في تقدير الأنثروبولوجيين متنفسا وخروجا عن العالم المادي إلى العالم الروحي ممثلا في رمز الولي الصالح وعدت محاولة للهوب من الحياة الدنيوية إلى الخيال المقدس، كما أن هذه الظاهرة مثلت تواصلا بين الماضي (الجميل) والحاضر (المفزع) عند استذكار فضائل وكرامات أصحاب الأضرحة... وذلك من شأنه إضفاء بعض الاشراق والفرح على الواقع المر، وشحن الناس بالطاقات الإيجابية ومواجهة مشاكل الحياة العصيبة" (دويدة، جوان ٢٠١٥، الصفحات ١٦-١٧)، هذا من وجهة نظر العلم أما من وجهة نظر الواقع فهي ترتبط ارتباطا وثيقا بالقداسة وتصل إلى منزلة الدين ومن بين ما يتم ممارسته في المجتمع العنابي نذكر على سبيل المثال لا الحصر:

بسط المفروشات: إن الأصل في الاجتماعات عامة والعائلية أو المناسباتية تقضي ببسط أفضل المفروشات وأرقاها وأجودها وهذا لتأدية وظيفة حسن الضيافة والمعاملة بالمثل وتتلخص القيمة الاجتماعية للمفروشات في أنها مدلول صريح عن السعادة بلقاء الآخرين وتوطيد العلاقات وتنمية وتعزيز روح الأخوة وهي مرآة عاكسة توضح تمثل مكانة وعزة الزائر عند المستقبلين، أي أن الفرد يعرف مكانته عند الآخر من خلال أول مؤشر وهو المفروشات التي توضع له حين قدومه للزيارة، فكلما زادت المفروشات قيمة كلما دل على تعظيم مكانة الضيف، وفي طقوس الوعدة والزيارة للأضرحة فالأمر سيان فالزائر "الزاير" يسمي الزائر نفسه وروح الضريح بـ: "ضياف ربي"، ويأخذ معه مجموعة من الأفرشة وفي الغالب يأخذ نوعان منها: الأولى باهظة الثمن وتفرش في داخل القبة "وهو مكان يحمل مدلول البركة لأن الضريح يكون مدفونا بداخله"، والثاني من الأفرشة تكون عادية وذات الاستعمال اليومي وتفرش خارج القبة وتكون عادة للزائرين الذين يأتون مع الزائر الرئيسي حتى يتمكنوا من الاستراحة فوقها "لأن الموروث القديم كان يقضي بضرورة اجتياز من ٠٣ إلى ٠٧ أيام أو أكثر أحيانا" حتى تتم مراسيم الزيارة.

وتبرز من خلال أنواع الأفرشة كذلك فهم القائمون على الضريح إن كان الزائرون من طبقات اجتماعية راقية وغنية أو من طبقات متوسطة الدخل أو فقيرة تبعا لنوع الأفرشة التي يحضرونها معهم سواء كانت لداخل القبة أو في ساحة الضيافة، وعليه فالزائر يبحث عن المكانة الاجتماعية العريقة التي سيتفاخر بها فيما بعد وسيتم تناقل هذه المواصفات في الأوساط الاجتماعية وبالتالي يحصل على المكانة الاجتماعية التي يريدها وهو تصنيفه من بين العائلات المرموقة وذات النسب الشريف والأصل العنابي.

تقديم القهوة: من بين عادات الاهتمام بالضيوف هو تقديم وتأمين الوجبات الغذائية في مواعيدها وخاصة ارتشاف القهوة، فهي تحمل مدلول البساطة في التعامل (لأنها متاحة لجميع العائلات الفقيرة والغنية ولا يمكن الاستغناء عنها في أي مناسبة كانت)، "فالقهوة مشروب اعتبر لفترة طويلة دواء إلى شراب من المشروبات الساخنة، واصلت القهوة تطورها وانتشارها جغرافيا واجتماعية إلى ان نجحت في انتزاع فضاء خاص بها تقريبا ويحمل اسمها أيضا حيث يسمى القهوة في المغرب العربي والمقهى في اللغة العربية الفصحى" (بن الشيخ، ٢٠١٩، صفحة ٣٩) ومدلول فن الضيافة والذي يعكس معنى الاهتمام والعناية اللذان يوليهما المضيف لضيوفه، "من خلال صورة التلاقي والتواصل بين أفراد هذه الأمة في مجال مشترك يتم عبره تمرير الأحاسيس والانطباعات وآلام المجتمع" (بن الشيخ، ٢٠١٩، صفحة ٤٩) ونظرا لخصوصية هذا المشروب فهو يعكس حجم اهتمام الزائر بضيوفه عند الضريح لذلك عليه تأمينه ويعتبر مرافقيه أو الذين يلتقيهم صدفة في مكان الزيارة ضيوفا عنده بهذا المقام وعليه أن يوفي معهم واجب الضيافة وكما يقولون "قهوة على أصولها"، والأصل في القهوة أن تقدم ساخنة وفي فناجين ويستحسن أن يحضر الزائر

بعض الحلوى ليقدمها مع القهوة حتى يتم كرم ضيافة ضيوفه عند الضريح، وعليه يحصل على الدعاية والاشهار اللازمتين لتتمة المكانة الاجتماعية إضافة إلى المفروشات.

الذبح: وهي مهمة تكون موكلة في الغالب العام للأسر التي تعيش في المنطقة وانتسابها (جيلالي، ٢٠١٤-٢٠١٥، صفحة ٥٩) إلى الجد المكلف بخدمة الولي وهي سلالة تحمل نفس اللقب وتعتبر نفسها مترابطة بالدم معه، وهي من تحدد نوع الذبيحة أحيانا ومواصفاتها لأنه لا يجوز تقديم هدية للضريح وبها عيب أو عاهة وهذا من معتقدات التقديس، كما لا يجوز تقديم ذبيحة يختلف شكلها ومواصفاتها عما يحدده القيم على الضريح، وإلا عد الزئر مستهترا بالعادات والتقاليد ولم يعطي المكان والزيارة حقها الكامل، ويوصف حينها الزائر بعدم انتمائه إلى العالات الأصيلة وذات النسب العنابي الشريف.

إضافة إلى أن الذبح يحمل مدلول الخلاص من المحن الاجتماعية والنفسية، وارتبط عند كل المجتمعات ومنذ الأزل بمعاني القدسية والقربان للتكفير عن الذنوب أو استمالة وكسب حب الآلهة وعليه لم يستطع الفكر الاجتماعي البشري التخلص من هذه الأفكار والتصورات لمعاني الذبح ومواصفات الذبيحة.

كما ارتبط الذبح بمعتقد يرى أن في إراقة الدم ازالة للهم والغم والشياطين وهذا لاعتبار الدم من مكونات الانسان الوجودية، وعليه فحتى ترتقي لعالم القداسة وتتخلص من الكراهية والعدوان الساكن في النفس البشرية فسكب الدم و-أو عمل جرح بالجسم ليسيل الدم و-أو تقديم القربان بذبحه أو بطرق أخرى للتقديم كلها ممارسات اجتماعية تقليدية تعبر على أن سيلان الدم والقربان هما من مخلصات النفس البشرية وإتاحة الطريق لبدء مسارات حياتية جديدة خالية من الشوائب وهنا يظهر الفرد ارتقاء نفسه بمسامحة من كان على عداوة معهم ومسامحة نفسه من الخطايا التي ارتكبها.

الحناء: لا توجد كتابات كثيرة عن الحناء لكن رواية وادي الحناء لصاحبتها جميلة طلباوي تحكي موضوع الحناء "وبالذات اوراقها التي تسحق لتزيين الأيادي والأرجل، لتعلن مواسم الفرح والبهجة والسرور" (لودي و بحسون، ٢٠١٨، صفحة ١٩٠) رواية وادي الحناء الترتيب للحناء من مراسيم الاحتفال ولا يمكن للزائر التخلف عن اعدادها، وهي تدل على الايمان بأن الخالق رؤوف رحيم وسيأخذ ويجبر بخاطر الزائر عند وضع الحناء على اليدين وتوزيع كويرات منها على الحاضرين لتنزل حسبهم البركة ويعم الخير على الجميع، وهذه الدلالة تشكلت عبر الزمن بعد معايشة الحاضرين لتيسر بعض أمورهم لفترة زمنية لا تبعد بكثير عن الزيارة وتلقي الحناء فسادت في الفكر الاجتماعي أن الحناء تحمل البركة ويكسب بها الحاضرون رضا الرب، إذ يقولون "حني باه يحن عليك ربي"، أما رمزية الحناء فهي تعطي شعورا للحاضرين بالراحة والطمأنينة لتأدية كل طقوس الوعدة والزيارة التي ستكلل بتغيير اجتماعي نحو الأفضل في حياتهم، وهذا ما سينعكس على أسرهم بكل إيجابية.

Doi:10.21608/kjao.2021.156239

ويتم اعداد الحناء بماء الزهر لدلالة أنها كائن وجودي يتفاعل معهم فماء الزهر إضافة إلى رائحته العبقة فهو دليل على الرفع من شأن الحناء، كما قد يتم اعدادها بالعطر "ماء عطري" وهو يحمل كذلك ذات المعنى والدلالة حتى يكون كحاجز بين الحاضرين وبين عالم الشياطين ولو حدث وأن أصيب أحدهم بعارض ما ورائي فسيكون لطيفا به ولا تأذيه القوة الغيبية.

اشعال الشموع: تجتمع كل الحضارات العربية والغربية قديما وحديثا على اشعال الشموع في كل المناسبات سواء كانت الحزينة أو المفرحة، وفي طقس اشعال الشموع أثناء الزيارة والوعدة دلالة على استحضار عالم الماورائيات والقوة الغيبية وترتيب المكان الذي يليق برفعتها، لأنه عالم يحمل الخير للحاضرين وسيلقي بمفعوله السحري عليهم ويستجيب هذا العالم الغيبي لطلباتهم لأن الضريح لديه حراس في عالم الموت وهم أيضا يقفون على حسن الخلق في الزيارة والوعدة، والمذنب هو غير مؤدب وتحل عليه اللعنة اما بسقوطه أرضا أو موته أو اختناقه أو شلله أو السماح لعالم الماورائيات بالاستكانة الى نفسه وجسده وفي كل هاته الحالات على المذنب أن يعترف بذنبه في حق الضريح أو في حق حراسه وأن يُخرج وعدة الخلاص والتكفير عما تسبب به من مساوئ في المكان، لذلك تجد جميع الحاضرين يتحدثون بسوط منخفض ويقولون عبارتهم الشهيرة "مْسْلْمِينْ مْكْتْفِينْ" مع الاشارة إلى وضعية ربط معصم اليدين وهذا يدل على تسليمهم المطلق للقوى الغيبية وأنهم لا يملكون أية قوة أو حلية أمامهم كما يلتزمون بآداب الحديث حتى تثور ثائرة عالم الماورائيات.

دلالة الشموع هي الزينة والمرافقة المبهرجة وتغطية المكان بجمال الضوء والنور المنبعث من الشموع، وأيضا دليل الاحتفال في الغالب أثناء حدث الولادة وهذا يعني أن هناك حياة جديدة ترسم في الأفق، أما النور الذي يعم المكان فهو معنى الخروج من الظلمات.

تقديم العلم "لْعْلاَمْ": معنى "العلام" أو العلم هو الكسوة التي يغطى بها الضريح وتظهر قيمة الضريح في المجتمع من نوع النسيج وعلامات التزيين التي تحملها قطعة القماش، ويأخذ الزائر العلم معه ليقدمه للضريح كهدية تعبر عن الكسوة الجديدة لاعتبار أن روح الضريح تسكن المكان وهي ستفرح بكسوتها الجديدة، "فدخول العلمة إلى الضريح هو بمثابة استنساخ لروح الولي لتحمل وتحل في العلمة التي تشارك فيما بعد في احتفالية الحضرة" (سرقمة، ٢٠١١، صفحة ٩٨)، وهذا هو الاعتقاد السائد أيضا في كل مزارات الأضرحة، ويعتقد مريدو رأس الحمراء بعنابة أن القداسة تنتقل إلى العلم الذي يغطى به الضريح فتجد الزائر قد يؤخذ قليلا من القماش أو يطلب من القيم أخذ قطعة صغيرة كما قد يعد القيم أحزمة وأشرطة يقتنيها الزائرون ويستخدمونها في وضع "الكتاب والحجاب" وهي عبارة عن ورقة بها كتابات بمادة الزعفران ويعتقدون فيها وفي قوتها السحرية ومعجزتها على تحقيق الأمنيات وازالة الحزن والغم وفك السحر.

ودلالة العلم تكمن أيضا في ألوانه فهناك زيارات تلزم لونا معينا وهناك زيارات لا تلزم لونا معينا، وفي الغالب العام فللألوان مدلولات متفق عليها في كل الحضرات عدي بعض الاختلافات مثل اللون الأزرق الذي يرمز في الدول غير العربية الى أنه لون الخير ولون السماء والسماحة أما الدول العربية رغم موافقتها على هاته الدلالات إلا أن القرآن الكريم ربطه بسوء العاقبة "للكافرين يوم الحشر والزبانية وبعيون الشيطان" (بوشعالة، ٢٠١٦، صفحة ١٤)، كما تختلف الحضارات في دلالة اللون الأحمر فمنها من يربطه بالقوة وفعل الخير ومنهم من يربطه بالشر والقوة الغيبية من عالم الشياطين، وهناك من يربط دلالاته بالدم الذي يسري في العروق، لهذا فالأوان لها دلالات متعددة لكن تجتمع في أغلبها على أنها ألوان تحاكي مكونات الطبيعة التي تماثل ألوان مكونات الجسم البشري والتي تعيده إلى أول الخلق، حيث يعتقد الفكر الاجتماعي في امتزاج كل مكونات الطبيعة المعدنية والسائلة والغازية والصلبة في تكوين الجنس البشري.

الطواف و-أو الوضوء والصلاة و-أو الركن إلى جانب معين في القبة: إن من تتمة طقوس الوعدة والزيارة لابد أن يكون مصحوبا اما بالطواف حول الضريح أو الوضوء والصلاة بمكان دفن الضريح أو الركن إلى زاوية أو جانب معين والاستكانة والدعاء، وفي هذه الممارسات دلالة لتقديس الضريح من جهة واستحضار كرامات ومواقف الضريح سواء كان في معالجة القضايا التي تخص عصره أو مكارمه وفضله على أهل المنطقة أو إبراز خصال أخلاقه وحكمته وعلوه وزهده في ممارسة دينه.

ومعنى هذه الممارسة هي استكانة النفس البشرية والروح إلى جوار أحد أهم الخلق البشري، خاصة وأنه كان عابدا وصالحا ولديه مواقف مثيرة للجدل بين العلم و-أو الخيال.

المديح و-أو الغناء و-أو التهوال: إن الدلالة الرمزية للمديح والغناء والتهوال تتمة للطقوس من جهة ومن جهة أخرى تعبير لفظي عن الفرح باللقاء بين المكان والزاير، واشتراك حركي لمساحة الجسم مع أغان طقوسية لتأكد على مضمون الدعاء أو الأغنية التي صيغت لكي تلاءم النفوس المتعلقة بها عن طريق ترجيح وهز الرأس صعودا ونزولا أو يمينا وشمالا وتسمى "التهوال"، وهذا يدفعنا إلى التفكير فيما يقوله الحاضرون والكلمات التي يستعملونها في المديح و-أو الغناء وهي عبارة عن قصيدة أو مقولات تتغنى بالرسول "عليه الصلاة والسلام" أو تتغنى بفضل الضريح على سكان المنطقة وانجازاته، وهنك من العائلات من تحضر فرقة موسيقية تسمى "الفقيرات".

كما أن هذه الزيارة والوعدة تدل على صدق الزائر أو أحد المدعوين للزيارة في تبيانه للحاضرين أنه يتمتع بكرامات غير عادية تنسب إلى العالم الماورائي فعند بدأ المديح والغناء يبدأ أحد الحاضرون أو الزائر بالمشاركة الجسدية وهز الرأس "التهوال" لأن مقطع الغناء والمديح قد أصاب في استهداف العالم الماورائي لذلك الشخص الراقص وتسمى "بالنوبة"،

ويقول الحاضرون "إنه مُنْزَلْ على تلك الأغنية" أي أنه لا يكون في حالة تهوال وسلوكيات وأفعال غير عادية إلا على تلك الأغنية أو القصيدة.

ولا تنتهي هذه الحالة من التهوال إلا بسقوط المعني مرميا على الأرض وتتمة كل الأغنية وظهور علامة غير عادية في ذلك الوسط كأن يسقط حجر يسمى "الجاوي" من السماء أو أن يقوم الشخص وهو مغمي عليه ويدور على الحاضرين ويقول كلاما لهم يتنبأ ببعض محطات مستقبلهم أو يكشف لهم عن شيء مخبأ أو غيرها من العلامات غير العادية مشخصة تصوراتهم الأسطورية.

البخور: البخور في الزيارة والوعدة دليل على تقديس المكان بتعطيره ببخار عالم ما وراء الطبيعة وأحيانا يكون مصحوبا بأقاويل تتمتم بها من تقوم بالطواف به على الحاضرين، وهذا حتى يحدث البخور مفعوله السحري على الحاضرين وتستجاب دعواتهم وأمانيهم، لأن عالم الماورائيات في سعادة نتيجة تعطيره بالبخور.

ويرجع البخور في الفكر الاجتماعي إلى الحضارات القديمة وارتبط بالطقوس الدينية منذ قديم الزمان، كما يعتبره الغالبية العامة جالبا للبركة وواقيا من الحسد.

وهناك من يستخدمه بشكل سلبي في أعمال السحر والشعوذة، ومنهم من يستخدمه كعلاج في بعض حالات المرض المستعصية أو التي يتعذر فهمها فيقولون بخروا المريض مما أصبح عنصرا هاما في العلاج "هذا تبعا لمعتقدات البشر".

كما أنه يستعمل في تعطير المنازل لجلب الطمأنينة، ويرتبط عند البعض بمدلول جلب الرزق، ويعتقد آخرون من المجتمعات وخاصة الصينية أن البخور يضمن وصول الصلوات إلى السماء.

خامسا توظيف الدلالات السوسيو-ثقافية لطقوس الزيارة والوعدة كبدائل في الاستثمار السياحي:

إن توظيف الزيارة والوعدة كفيل بتفعيل حركة الاستثمار السياحي بوجهيه المادي واللامادي، فقد أبرزت اتفاقية التراث اللامادي لسنة ٢٠٠٣ إمكانية" أن يجتذب التراث الثقافي غير المادي السياحة الثقافية والفوائد الاقتصادية التي يمكن أن توفرها للجماعات وللاقتصاد، والاسهام في نهاية المطاف في الحد من الفقر" (توغلار، ٢٠١٣، صفحة ٣٢)

دلالة الألوان "امتزاج الفولكلوري بالأسطوري":(زينب، ٢٠١٠-٢٠١١، صفحة ٩٦)

الأسطورة جزء من الواقع الاجتماعي والحقيقة التي يعيشها الناس ويتفاعلون معها، وبحسب رموزها ودلالاتها وسياقات ظهورها يجعل منها المجتمع استثمارا على شكل:

-قانونا يحكم أفعالهم الاجتماعية،

-شريعة يحتكمون اليها بالاستدلال على طرق فض النزاعات،

-تتدخل في تكوين مرجعيتهم الثقافية وتشجع روح الانتماء وتساهم في تكوين الهوية وترسيخ العادات والتقاليد،

-منظمة للسلوك والقيم والمعايير الخلقية.

كما يحدث أن يمتزج الفلكلوري بالأسطوري فكثيرا ما تقام في بعض المناطق أسواق جانبية على هامش الزيارات ويعرض من خلالها التجار منتجاتهم النسيجية ذات الألوان المعبرة على أصالة المنطقة وتاريخها، كما تحمل أدوات الزينة النسائية نقوشا تعبر عن المكانة الاجتماعية للمرأة ويتم عرض الآلات الموسيقية التي يضرب عليها العازفون أنغام وموسيقى المنطقة فيعرفون في مواسم السياحة بالتنوع الثقافي الموجود بكل المناطق وفي هذا استثمار سياحي غير مادي.

دلالة التماسك الاجتماعي "الثبات والتحول في الممارسات والقدسية": أولى طقوس الزيارة هي نزع النعل عند باب القبة التي تحوي الضريح وهو اجراء مستوحى من قداسة المكان كقداسة المساجد، وهذا يدلنا على القيمة الروحية التي يحملها الناس للضريح وللقبة، ودليل على رفعة المكان والاحترام الذي يكنه المجتمع العنابي لطقوس الزيارة والوعدة، ويستعين المجتمع العنابي بهذه الزيارة حتى يكون هناك دائما حماية للعائلات المريدة من أي اختراق باتجاه التحول والتغير الذي يريده الناقمون.

تكابد اليوم الزوايا والقائمين على الأضرحة والعائلات ذات خط النسب على الحفاظ على هذا الموروث وتحييه كلما سنحت الفرصة لذلك، فالممارسات القدسية لديها أصولها كما يقولون "فلا يجوز تقديم شيء منها عن موضعه أو تأخيره عنه" (عطاالله، ٢٠١٨-٢٠١٩، صفحة ٣٩) والعائلات الحديثة لا تلتزم بكل طقوس الزيارة ويؤكد القيمون على الأضرحة التحول في الممارسات ويجمعون على أنها لم تعد كما كانت، وهذا لديه تفسير فالفئات الاجتماعية النازلة من الأبناء ونتيجة تعلمها واتقانها للتكنولوجيا لم تعد لديها تلك القناعة الكافية للاعتقاد بهذه الممارسات والقدسية، ويعرفون جيدا أن ذهابهم للزيارة والوعدة شرك، وإن اصطحبهم اليها أوليائهم فهم يدركون الاختلاف بين الدين والقداسة والطقوس، وهذه هي بنية التحول والثبات الجديدة المحافظة على الموروث دون الاعتقاد بقوته الغيبية.

دلالة الشعور بالانتماء "الاندماج الاجتماعي للزائر": الزائر يلتزم سلوكيا بتوجيهات القيم على الضريح وهذا يولد لديه الشعور بالانتماء إلى تلك المنطقة، وأن الضريح يشكل أحد أهم ركائز الهوية فيندمج اجتماعيا ويشارك في الاحتفالات المقامة عند الضريح، ويصبح ناقلا لتلك الثقافة الاجتماعية وهذا ما يدفع إلى عدم اندثار طقوس الوعدة والزيارة، ويرجع هذا الشعور بالاندماج الاجتماعي إلى القدم حيث أن من آداب المعاملة الالتزام بتوجيهات الشيخ وهو السبيل الوحيد للنجاح فمن لم يكن لديه أستاذ لا يفلح أبدا لهذا كان قديما السير وفق ارشاد الضريح دليل على أن المريد يسلك الطريقة التي رسمها له شيخه ويسير وفق إرشاده كون الالتزام بالأحكام المتعلقة بالشيوخ هو أساس الانتماء.

التقيد بالتعاليم والتوجيهات من الأجيال السابقة توجه نحو الخبرات الاجتماعية التي عاشها السلف، وتبقى كل الممارسات للزائر تحت المراقبة والتقييم والتوجيه المستمر حتى يتمكن

من أداء الطقوس كما وجب لها، فيعم التواصل بين الناس ويتعزز الاندماج الاجتماعي لجميع الحاضرين، وهذا استثمار تعجز برامج العلاجات الأسرية عن تحقيقه وتنجح في ذلك الزيارة والوعدة، وعليه فالسائح سيجد في هذا فضاء ليمارس مع السكان الأصليين طقوسهم ويشاركهم احتفالاتهم ومعتقداتهم وهو ما يخلق لديهم الرغبة في العودة مرات أخرى من أجل السياحة.

دلالة المكانة الاجتماعية "الخصوصية الأنثوية للطقوس والممارسات بالضريح":(زينب، ٢٠١٠-٢٠١١، صفحة ١٢٥) تتشكل المكانة الاجتماعية للضريح بعد عودته من زاوية لشيخ معين وتكليل انضباطه بالتعاليم والتوجيهات فيأخذ من شيخه العهد وتتم المبايعة على المشيخة، فيعود إلى المكان الذي نشأ فيه ويتخذ لنفسه حيزا جغرافيا يبني عليه بيتا بسيطا يتعبد فيه ويفك نزاعات قومه ويصلح من حالهم ويعينهم على مشكلات الحياة بما ترسخت لديه من قناعة الحل بالعلم والدين، فيصبح اسمه علما على المكان ويدعى عند الناس بزاوية سيدي أو المرابط أو الولي فلان ويدفن فيه عند موته فيرثه أهله وأحفاده ويحيون ذكراه بالزردة وتأتي العائلات والزائرين لتقديم وعداتهم.

إن هذا يدلنا على المكانة الاجتماعية للضريح والمكانة الاجتماعية التي تكتسبها المرأة لأنها الناقل الأكثر تأثيرا في حياة الأفراد للممارسات الطقوسية، فالسلطة الرمزية للضريح "قد أقنعت الفرد عبر ردهات تاريخ المعتقد الشعبي أن ذلك الولي الصالح –الميت الحي- قادر على تلبية ما يتقدم به الزائر من دعوات طلبا لقضاء حاجاته، وإن هذه الطلبات والدعوات لا يمكن لها أن تحظى بفرص القبول الا في حضرة هذا الولي. ولا شك أن أكثر من يتردد على زيارة الأضرحة هن النساء ... لبلوغ حاجات في أنفسهن، فتراهن يمارسن طقوسا ويرددن أدعية وأقوالا وعلى محياهن هالة من الوقار والولاء" (زرهوني، ٢٠١٨، صفحة ٠١)

احتكرت الأنثى عبر الزمن قبة الضريح فتجدها قابعة هناك لمدة زمنية طويلة الشيء الذي يدفع بالذكور إلى الحياد وعدم المكوث مدة طويلة و-أو تفويض أمر قضاء حاجته عند الضريح لإحدى نسوته، فالأنثى غالبا هي من تحمل وظيفة حل المشكلات العائلية فهي من تذهب إلى القبة وتطلب إنجاب الذكور إضافة إلى الإناث اللاتي أنجبتهن وهي من تذهب لتجلب تعويذة تتيح لبناتها الزواج المبكر وهي من تزوجت حديثا وتعاني من مشكلات مع الحماة أو مع زوجها وتذهب لتحضر ما به خلاص تحسين العلاقة الأسرية وهي من تتوجه لتعزز من قدرات أولادها في التحصيل الدراسي أو إعادة ترتيب أخلاقهم للمنحرفين خلقيا وهي من تطلب المغفرة وتدفع الخلاص حتى تنجب وليدا آخر ليس به إعاقة وهي من تحضر زوجها غير القادر على الإنجاب ... وغير ذلك من حاجات الأنثى.

فالأسطورة تقضي بحيازة الولي لوصفات تعالج كل المشكلات ويذكر الشاهد التاريخي من ناقلي حكايات الأساطير أن الولي يقوم بتوريث وصفات العلاجات وما تحمله

من بركة كالتداوي بالريق أو بلسعة حشرة أو اللمس والتلفظ بكلام يعرفونه هم فقط، يورثها لأبنائه وأحفاده بعد ممارستهم طقوس خاصة، فينقل القيم عنهم هاته المهمة وهاته الخطوات العلاجية لأنه أحيانا ينقطع خط النسب النازل من الولي فيقوم القيم بدوره بنقلها إلى أبنائه وأحفاده حتى تصل إلينا في الصورة التي نعرفها عند الذهاب للزيارة.

إن الاستثمار في الخصوصية الأنثوية يحضر للمجتمع قنوات نقل الثقافة وقوة المعتقدات وهذا يؤدي إلى تمكين المرأة من التعليم برفض الاعتقاد في ألوهية الولي وقبول الممارسات الطقوسية وضمها إلى العادات والتقاليد حتى يتمكن الجيل اللاحق من معرفة

دلالة الدعاية والإشهار: إن العائلات التي تسعى إلى الزيارة وأداء طقوسها تسعى في ذات الوقت إلى ترسيم وترسيخ اسم العائلة وربطه بخط نسب العائلات الأصيلة وهذا يكسبها مكانة اجتماعية بين العائلات وتتمكن من بسط نفوذها أو تقوى علاقاتها بالعائلات الأخرى كما قد تكون سببا في وصفها بالعائلات ذات الحسب والنسب ويشعر حينها أفرادها بعلو الشأن مقارنة بالآخرين، وهذا المنطق يتدخل فيما بعد في تحديد مَن مِن العائلات ذات خط النسب الرفيع والأصيل التي يتم دعوتها إلى الأفراح ويتم مصاهرتها.

فالدعاية والاشهار لديهما أثر نفسي على العائلات والأسر وهو ما يمنحها الاعتزاز بالانتماء رغم الوظيفة السلبية التي يؤديانها في التمييز الاجتماعي.

قيمة الوفاء بالوعد وفيه الثواب والعقاب "الدين والاعتقاد في الضريح": إن الزيارة تحمل قيمة الوفاء بالوعد وهي من أساسيات التربية والتنشئة الاجتماعيتين فكل زائر عليه أن يفي وعده للضريح إن تم قضاء حاجته أو تم جوابه، وهذا للغلاف الديني المقدس الذي يعطيه الزائرون والاعتقاد بأن قوته لا تزال حاضرة ومؤثرة على الحياة الطبيعية للناس، فيثوب عليهم الضريح ويعيد جوابهم إن عادوا وطلبوا قضاء حوائج أخرى، كما أن السلطة الدينية للاعتقاد في الضريح وقوته التي لا تزال حاضرة تسخر من أجل عقاب الأشرار في الحياة الطبيعية للناس كأن تشتكي الزوجة زوجها أو حماتها أو سلفة أو ابنا عاقا لها فيتم استحضار القوة الغيبية من العالم ما وراء طبيعي لإصابة النفس الشريرة بمرض أو بتخلف دراسي أو بالتفريق بين الزوجين "عندما يمزج بين قوة الضريح في السحر والشعوذة" أو غيره من معتقدات العقاب.

استمدت الزيارة الثواب والعقاب من قداسة المكان والضريح وارتباطها بالأساطير والشرط في كل ذلك هو النية حتى يصلح كل شيء وهو الاعتقاد التام والكامل في القدرة الأسطورية للضريح وانتقال القداسة إلى كل ما هو موجود بالمكان، فبركة الضريح إلى تطال الجماد والمتحرك، وهنا تخلص نية الزائر ويستفيد من كرامات الضريح وتلبى حاجيته "حسب اعتقادهم طبعا".

قيمة تاريخية: تصف هذه القيمة النظام السياسي والاقتصادي والبنية الاجتماعية للجماعات القائمة في المنطقة بين السكان وبين القائمين على الضريح أو الولي أو الشيخ، وهنا يذكر

الأنثروبولوجيون وجود جماعات متنازعة تتمثل في ورثة الولي والقبيلة ونزاعات الزعامة والقوامة على الضريح وسلطة المقدم وتنظيم الموسم وطرق التصرف مع الذبح أثناء وبعد الذبح.

كما تسهم الزيارة والوعدة في صيانة الذاكرة الجماعية لأنها تروي تاريخ المنطقة وتاريخ المشايخ والطرق الصوفية وطرق الأولياء الصالحين وهذا من شأنه أن يعزز الانتماء الجماعي والشعور بالاعتزاز والغاية المشتركة واحتواء الآخر، والتعبير عن الحاجات المكبوتة مع الآخر في فضاء يبرر لكامل الحرية، كما تقام حلقات عمل خاصة للسكان لتبيان "إمكانية تنمية السياحة الثقافية حول هذه الطقوس" (توغلار، ٢٠١٣، صفحة ٨١)

قيمة اقتصادية: إضافة إلى الأسواق التي تقام في أماكن الزيارة وعلى هامش طرقها وما تقتضيه من معاملات تجارية من بيع وشراء، فهي تشكل مصدر رزق دائم للمتعاملين بطقوس الزيارة فهناك الطقوس اليومية والطقوس الموسمية التي من لوازمهما الحناء والشموع والبخور والعطر والذبيحة والهدايا والأقمشة والحرفيين، "فيساهم التراث الثقافي غير المادي في الاقتصادات المحلية خصوصا عن طريق المنتجات الحرفية والسياحية... في اطار برنامج خدمات دعم السياحة" (توغلار، ٢٠١٣، صفحة ٥٠)

المقدم القائم على الضريح يجد له رزقا في قوامته على القبة وحفاظه على نظافة المكان وترتيبه وترميم ما ينكسر من المكان فقد يمنحه الزائرون مقابل مالي أحيانا فهو يربي الذبيحة وبيعها للزائر ويقوم بالإشراف على ذبحها وهذا ما يتيح له نصيب منها ومن الأكل المعد مع تلك الذبيحة.

الترويج للسياحة عند قدوم الأجانب ورغبتهم في زيارة المعالم التاريخية للمناطق فتباع له تذاكر من المكان والحلي وقد يقتني بعض المنتجات النسيجية والحرفية، كما أن السائح سيستسيغ مشاركة المحليين طقوسهم ويلتزم بها وهذا للمتعة والإثارة اللتان سيشعر بهما.

سادسا الخاتمة والتوصيات:

إن التقاليد وأشكال التعبير الشفوي والعروض الفنية والخبرات المتعلقة بالصناعات التقليدية والممارسات الاجتماعية والطقوس والتظاهرات الاحتفالية والمعارف والممارسات المتعلقة بالطبيعة والكون، كلها عناصر يمكن تسجيلها في قائمة التراث الثقافي غير المادي للبشرية، فالتراث الثقافي غير المادي تراث تم نقله من جيل إلى جيل، ويولد شعور بالهوية والاستمرارية، مساهما بذلك في ترقية احترام التنوع الثقافي والإبداع البشري، وتعد عادات الزيارة والوعدة للمقامات والأضرحة عادات راسخة ومتأصلة في الذاكرة الشعبية لدى المجتمع الجزائري والمغاربي عامة، وهي ظاهرة تمتد إلى بعد الفتوحات الإسلامية خلال القرن السابع ميلادي خاصة في عهد القرامطة والفاطميين وترجع أصولها إلى ظهور الطرق والتدين كالشيعة والصوفية في المجتمعات الإسلامية وقد روجت لها وزادت من توجيه الناس نحوها.

هذا الإبداع في التراث اللامادي هو أساس الاستثمار لأن السلوكيات والممارسات والطقوس تشكل "استثمار سيكولوجي للطقوس في سبيل غايات غير معلنة باعتبارها وجدانية غالبا" (طوالبي، ١٩٨٨، صفحة ١١) إضافة إلى الاستثمار المادي لأنه وأثناء تسويق المنتجات الثقافية كالمهرجانات التقليدية والتقاليد الشفهية والملاحم، والعادات، وأساليب المعيشة، والحرف التقليدية، وما إلى ذلك عائد مادي، يشترط التراكم حتى يحقق الرفاهية.

قائمة المصادر والمراجع:

اللجنة الوطنية الجزائرية للتربية والعلم والثقافة (بلا تاريخ)، http//unesco.com
بن الشيخ، حكيم (12 ,2019)، جوانب من الحياة الاجتماعية في الجزائر خلال القرن19 المقاهي والحمامات أنموذجا، مجلة قضايا تاريخية مجلد ٠٤، عدد ٠١.
راضية،عطاالله (٢٠١٨-٢٠١٩)، الأثر الاجتماعي لزيارة الأضرحة بتلمسان ضريح سيدي أبي مدين الغوث ٥٢٠/٥٩٤ه نموذجا: *مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماستير أكاديمي في التاريخ*، جامعة محمد بوضياف المسيلة.
زرهوني ,إسعد .(09 ,2018) .تمثلات المرأة للفضاء المقدس، الأضرحة نموذجا .مقاربة أنثروبولوجية على عينة من النساء بمدينة وهران)، مجلة الحقيقة، جامعة أحمد دراية أدرار، مجلد ١٧، عدد٠٣.
طوالبي ,نور .الدين .(1988) .في اشكالية المقدس *ترجمة :وجيه البعيني* .الجزائر :ديوان المطبوعات الجامعية.
سراج، جيلالي (٢٠١٤-٢٠١٥)، زيارة الأضرحة وأثرها في المعتقدات الشعبية "ضريح سيدي يوسف الشريف نموذجا": *رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير شعبة الأنثروبولوجيا الثقافية والاجتماعية*، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان.
سرقمة ,عاشور، (٢٠١١)، "الراية" في سيميائيات الطقس الديني فنتازية العلامة، مجلة أيقونات، جامعة معسكر، مجلد ٠٢، عدد٠٢.
شكري، بوشعالة (٢٠١٦)، رمزية الألوان من المقدس الديني إلى السياسي، *مجلة مؤمنون بلا حدود*، ١٦، ص ١-٢٦.
فاطمة، بالهواري؛ عبد الكريم، خبزاوي (٢٠١٧)، التراث اللامادي حمايته وتثمينه وأبعاده المستدامة، *مجلة عصور، عدد١* ، ص ٨-٢٦.
فراح، زينب (٢٠١٠-٢٠١١)، الزيارة النسوية للأضرحة مقاربة أنثروبولوجية بضريح سيدي قادة بن المختار بولاية معسكر: *مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع تخصص علم اجتماع الأديان والممارسات الدينية*، جامعة وهران.
لودي ,بوفلجة & ,.بحسون ,حسين(12 ,2018) ، مقاربة سيميائية لرواية "وادي الحناء " لـ .جميلة طلباوي، مجلة دراسات، جامعة .بشار، مجلد ٠٧، عدد ٠٣.
نفيسة، دويدة (٢٠١٥)، المعتقدات والطقوس الخاصة بالأضرحة في الجزائر خلال الفترة العثمانية، *انسانيات، عدد ٦٨* ، ص١١-٣٤.
نور، الدين طوالبي (١٩٨٨)، في اشكالية المقدس،الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
توغلار ,باربارا .(10 ,2013) *تقييم الأنشطة التقنينية لقطاع الثقافة في اليونسكو الجزء الأول اتفاقية عام 2003لصون التراث الثقافي غير المادي*) ، الأمم المتحدة، https://ich.unesco.org، تاريخ الاطلاع عليه (٢٠٢١/٠٢/٠٣).

وزارة الثقافة، *التراث الثقافي اللامادي في الجزائر*، http://pci-algerie.dz، (تاريخ الزيارة ٢٠١٩/١٠/١٠).